وقفة مع

إدريس الخضراوي

تقف هذه الزاوية مع مبدع عربي في أسئلة سريعة حول انشغالاته الإبداعية وجديد إنتاجه وبعض ما يودّ مشاطرته مع قرّائه. «ندرك كلّ يوم أننا نعيش في عالم يزداد ضيقاً بالصور المتعدّدة، ونفوراً من الاختلاف»، يقول الناقد المغربي لـ«العربي الجديد»

الفنيطرة (المغرب) ـ **العربي الجديد**

■ ما الذي يشغلك هذه الأيام؟

ما يشغلني هذه الأيام هو قراءة أعمال الناقد الروسي الفذّ ميخائيل باختين، الذي تتميّز نظرياته بكونها مؤسِّسة على منظور للأدب يشكّل مجاوزةً للجمالية الرومانسية التي ركّزت على استقلال العمل الفني، كما أنها تمارس تأثيراً قوياً على النقد العالمي المعاصر. يتعاظم اليوم الاهتمام بأعمال هذا المعلّم الروسي، وثمة جهود كبيرة تُبذل من أجل الإقتراب من سيرته الفكرية على ضوء ما ظهر من وثائق وشهادات، وأيضاً من أجل إعادة قراءة منجزه من منظورات نقدية جديدة، وهو ما يكشف راهنية هذا المنظر، والفائدة الكبيرة التي يقدّمها مشروعه للثقافة العربية المعاصرة.

■ ما هو آخر عمل صدر لك وما هو عملك القادم؟

آخر عمل صدر لي حمل عنوان: «الكتابة النقدية عند محمد برادة: المرجعية والخطاب» (2020)، وقد سعيت فيه إلى الولوج إلى عالم محمد برادة النقدي، وهو عالم رحب، غنيّ وواسع، منذ بدايات تكوّنه في أواخر الخمسينيات من القرن الماضي، إلى المرحلة الراهنة. في هذا الكتاب عرّفت بإنجازه في حقل النقد الأدبي المعاصر، على المستويين النظري والتطبيقي، وبيّنت دوره الفاعل في تأسيس النقد المغربي الحديث وتجديد أدواته وتنويع مرجعياته، وخلصت فيه إلى استنتاج مفاده أن محمد برادة ناقدٌ تأويلي، فهو يدرس النصّ الأدبي العربي على أكمل وجه ممكن، بالكشف عن مقوّماته الجمالية وأساليبه الفنية وعلاقتها بالحقبة التاريخية التي أُنتج فيها.

في ما يخصّ أعمالي القادمة، لديّ مجموعة من المشاريع حول الرواية المغربية المعاصرة، والنظرية الأدبية، وأيضاً في الترجمة، ولقد قطعت في إنجازها شوطاً مهمّاً، وأتمنّى أن تجد الطريق إلى النشر.

■ هل أنت راضٍ عن إنتاجك ولماذا؟

أن يشعر الإنسان بالرضا عن إنتاجه، هذا معناه التسليم بأنه انتهى ولم يعد في إمكانه أن يضيف أو يقدّم أيّ جديد. لذلك لا أرى إلى إنتاجي على أنه مكتمل أو ناجز. الإنسان ينبغي أن يطمح دائماً إلى التطوّر والارتقاء لتقديم الأفضل. يتطلّب هذا بذل مزيد الجهد، كما يتطلّب الصبر والتأنّي والبحث والاطّلاع الواسع على ما يُكتب في حقل الاهتمام، وفي الحقول الأخرى المجاورة. وهذا ما أحرص على القيام به، مستنداً بالحبّ الذي أكنّه للقراءة والكتابة والبحث. بالطبع، عندما أنظر إلى العمل الذي أقوم به، والشروط التي أشتغل في إطارها، كوني لست متفرّغاً للكتابة والبحث، وثمة التزامات تضغط بقوّة، مع ما يقتضيه ذلك كله من جهد وصبر ونشاط متواصل، أشعر بالرضا، نسبيّاً، ما يتحقّق ويثير الاهتمام.

> تشغلني قراءة أعمال المعلّم الروسي ميخائيل باختين
>
> في قلب الظلمة وهوّة اليأس هناك دائماً انزياح نحو انفراجة

■ لو قُيّض لك البدء من جديد، أي مسار كنت ستختار؟

أعتقد أنني سأختار نفس الطريق، أي الكتابة والتدريس. وربّما كنت سأهتمّ أكثر بالفلسفة، لأن ما يتعلّمه الإنسان منها لا يمكن أن ينساه أبداً.

■ ما هو التغيير الذي تنتظره أو تريده في العالم؟

التغيير الذي أنتظره هو أن يسود العالم السلامُ والمحبّة والتعايش والاعتماد المتبادل، وهذا ما يبدو لي بعيداً، لأننا ندرك كلّ يوم أننا نعيش في عالم يزداد ضيقاً بالصور المتعدّدة، ونفوراً من الاختلاف والتنوّع. كما أنتظر أن يرتقي عالمنا العربي إلى مصاف الدول الديمقراطية التي تقدّر شعوبها وتحرص على كرامتها وحرّيتها. تحتاج المجتمعات العربية - وهي تواصل تطلّعها إلى الموقع الذي يؤهلها للإسهام في الحضارة المعاصرة - إلى التسلّح بالديمقراطية، والفكر التنويري، والاحترام التامّ لحقوق الإنسان، وضمان التعليم والثقافة للجميع.

■ شخصية من الماضي تود لقاءها، ولماذا هي بالذات؟

أبو حيان التوحيدي، الأديب الموسوعي والمفكّر الإنسنيّ الذي يشغل موقعاً فريداً في الثقافة العربية، وتشكّل مؤلّفاته مصدراً إلهامياً للفكر المعاصر.

■ صديق يخطر في بالك أو كتاب تعود إليه دائماً؟

والدتي، رحمها الله، كلما تأمّلت المسار الذي قطعته متلمّساً، وباحثاً، ومحدّداً ذاتي، والأشياء التي من حولي، تذكّرت هذه المرأة الكريمة التي هي أمّي، ورغم كلّ ما جرى لها في الحياة، ظلّت، بصبر لا يفرغ، تحرص على أن تصل السفينة برّ الأمان.

أمّا الكتاب الذي أعود إليه باستمرار، فهو «الأيام» لطه حسين؛ كتاب ينزّل هذا الأديب منزلةً كبيرة في السرد العربي الحديث. يعلّمنا طه حسين أن الحياة لا تعرف المستحيل، وأنّ الإنسان لا ينبغي أن يفقد الأمل، فرغم الصعوبات والإكراهات والعوائق التي يتولّد معها الشعور بأننا نُدفع إلى قلب الظلمة وهوّة اليأس، فإنّ هناك دائماً انزياحاً نحو انفراجة، بحسب مارتن هايدغر، وإمكانية لأن يُخير الإنسان نفسه، ويمضي حرّاً.

■ ماذا تقرأ الآن؟

«كيف نكتب التاريخ» لبول فاين، بترجمة سعود المولى ويوسف عاصي (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، سلسلة «ترجمان»، 2021)؛ كتاب قيّم، يندرج في سلسلة من الأعمال والجهود التي ترمي إلى تحديد مفهوم التاريخ، والفأل التاريخي بوصفه حاكياً للحقيقة. يقدّم هذا الكتاب خدمة كبيرة لنقّاد الأدب الذين يُعنون بالتفكير في الرواية التاريخية بشكل خاص، وفي العلاقة بين الأدب والتاريخ بشكل عام.

إدريس الخضراوي

■ ماذا تسمع الآن وهل تقترح علينا تجربة غنائية أو موسيقية يمكننا أن نشاركك سماعها؟

أحبّ أمّ كلثوم ومحمد عبد الوهاب، وأيضاً مارسيل خليفة ونصير شمّة. واقترح أن نستمع سوياً إلى مارسيل خليفة في «أحنّ إلى خبز أمّي». تذكّرني هذه الأغنية بسنوات التعلّم في الجامعة، وبأمكنة خاصّة تحضنُ علاماتٍ أشرع إليها باستمرار عبر التذكّر، لأنها تمدّني بالقوة والصمود.

بطاقة

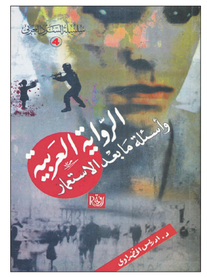

كاتب وناقد مغربي. أستاذ التعليم العالي بكلية اللغة العربية في جامعة «القاضي عياض» بمراكش، يحمل دكتوراه في الأدب الحديث (2006) من «جامعة محمد الخامس» في الرباط. عضو مشارك في تأسيس وتحرير مجلّة «البلاغة والنقد الأدبي». يهتمّ بالسرديات ونظرية الأدب والنقد الثقافي. من مؤلّفاته: «الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار» (2012)، «سرديات الأمة، تخييل التاريخ وثقافة الذاكرة في الرواية المغربية المعاصرة» (2017).

قصائد

تركلين هدايانا كما يركل الغازي ثمار المُستعمرات

صار الحقلُ بعيداً عن أهله

مصعب النميري

تدفعينهم بيمينك

هؤلاء شُبّانك وفتياتُك ابّتها البلاد
منظرك البهيّ على الضفاف والمنحدرات
وحماسك الفيّاض في الشارع حين تشيخين
إنّهم السواعدُ التي تدفع عَرَبَتك المعطّلة
على ناصية التاريخ
والأظافر التي تخمشين بها
ووقودُك في المعارك، سريع الاشتعال والانطفاء.
هؤلاء أبناؤك وبناتك ابّتها البلاد القاسية
الذين يغادرونك دامعين
رغم علامات السّياط على ظهورهم
والكوابيس التي تُطاردهم في المنامات
الذين يسيرون في وحول هذا العالم
وتنهال عليهم الهراوات
ويتحوّلون إلى كائنات هلاميّة
شفّت من الأسى
وشابت من الهمّ
وكبُرت في العمر قبل أوانها
لأنها حاولت تغيير هذا العالم الذي لا يتغيّر.
إنّهم ضوء عينيك في المغارة المُعتمة
أيّتها العجوزُ الخرفة
التي تخاف من تَغيير مكان الأكواب والملاعق
وتنظر بشكّ إلى كلّ من يتكلّم عن الغد
وتحطّمه بالرصاص والسواطير وقلع الأظافر
فيما تستسلم للجرّارين وقطّاع الطرق
دون أية مقاومة.
هؤلاء ضحاياك الذين يسامحونك
ويبحثون عن أيّ شيء يُذكّرهم بك في المنافي
أو يحمل رائحتك
حتى لو كانت رائحة محروقات وقمامة
وطعام غربات.
هؤلاء نُشطاؤك وناشطاتُك
المختلفون والمتنوّعون
الذين تريدينهم نسخة واحدة
إنهم يحاولون انتشالك من تحت بسطار الجنرال وعصا الشيخ
وأنت تدفعينهم بيمينك
إلى الخنادق والسُّجون والسّفارات
وخطوط الكوكائين والمعالجين النفسيّين
يتحدّثون بعيون مطفأة
ويشعرون بالذنب إذا مرّوا بلحظة فرح.
إنهم يضعونك وشماً على الكَتِف
أو قلادةً في الجيب
أو صورةً على سطح المكتب
وأنتِ
تشعرين بالعار
إذا ذُكرتْ أسماؤهم.

يموتون ارتجافاً

قفازُك مليئةٌ بالعطاشى
بالخارجين شعثاً من القرى والحقول
بالجلّابيات والبراقع
بالحطّات على الرؤوس
بالقشب على البدين
بأطفال لهم خصلٌ شقراء
لا يميّزون البرد إلّا حين يموتون ارتجافاً.

قفازُك مليئة بالأشقياء
الذين يعرفون أسماء المهاري وطوالع النجوم
الذين أسكتهم الضّيمُ وفرّمهم حديدُ السنابك
والذين تُصفّى بأرواحهم حساباتُ العالمين.

الصخور مُتّكأ السّهارى
والنار تلتهم ثياب القتلى وأشعار الغائبين
وقفازُك تمتلئ بالمغلوب على أمرهم
يرون مساقط الشّهبِ خلف الجبال من مقعدٍ خفيض
ويرجمونَ صفحة الماء بالأحجار الدامية.

مَضايا

ها أنت ابّتها الوديان الخفيضة الخضراء
وديانُ البنفسج والتفّاح
والمياه الدافقة إلى الحواضر
تشحبين في أوائل الصيف.
وثمارُك التي تتدحرج على المنحدرات
بدوسها الجنود الراكضون إلى الغنائم.
الثمار التي حال القنّاص بينها وبين أهلك الجائعين
تهوي كالعبَرات التي ليس ثمة مَن يهتمّ لأمرها منذ حين.

ستسطع نجوم هذه الليلة على المنازل المطفأة
وتهمي المياه بعيداً عن سواعد النساء
وتهتزّ أشجار الصفصاف بنسائم الربيع
وتتدحرج الثمار نحو أحذية الجنود الدامية.

لقد صار الحقّ بعيداً عن أهله الراحلين.
لن يطلب الفتى تفّاحةً حين يجوع.

سيرة النهر الدامي

خَلَونا إلى النهر في غمرة البحث عن الماء الدافق
قبل مئات السنين
بنينا بيوتاً من الطين على ضفّتيه
وزرعنا نخلاً في الباحات ووروداً على بيبان البيوت...
كان النهر وَبالاً في الحالتين: حين يفيض وينحسر
ثم دخل بجسارة في الكلمات والمعاني
والأهازيج والأحلام
ورُوينا في بداية الأمر، ثم رفعنا له الرايات البيضاء
سيوفنا مثلومة في لقاء الماء
وأهازيجنا انشطرت
بين بهجة الغزل على ضفافه
حين تذهب الفتيات بالجرار،
والحزن على الغارقين فيه
حين تُرى الجدائل طافية في الصبيحة.

الفرخ رصاصٌ في الهواء
والحزن عصائب على الرؤوس.

صار للنهر سلطانٌ على الأفئدة
أوسع من سلطانه على المحاصيل.
..
أيّامُنا صاخبة بالضرب على الدفوف
والشّهُب تتوالى أمام الجالسين على الصخور النائية
والأقمار بُدورٌ على صفحة الماء
والعبّارون يجمعون حطام مراكب الهاربين.

السماء تهدر بالطائرات
والدماء التي تبدأ رحلتها في الرقّة
تخرج خثرانة من فم الزاب.

(شاعر وصحافي سوري مقيم في كندا. أصدر ديواناً بعنوان «النجم أوضح في القرى»، وهذه النصوص جزءٌ من كتابه القادم)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

أنس البريحي (سورية)، 150 × 180، زيت على قماش

معرض

فنّانو الأرجنتين الديكتاتورية شريكة الاستعمار

فلسطين موجودةٌ وتقاوِم

من بين المشاركين في المعرض، الذي يُختتم بعد غد في بوينس آيرس، ثلاثة من ابرز فناني البلد: ليون فيراري، ولويس فيليبي نومي، وريكاردو لونغيني

بوينس آيرس ـ **العربي الجديد**

لم يكُن الفنّان المفاهيميُّ المُعارض، ليون فيراري (1920 - 2013)، يُنجز عملاً فنّياً إلّا ويُثير جدلاً واسعاً، كثيراً ما كان يصل حدّ الاحتجاج ضدّه والمطالبة بوقف عرضه. في عام 1965، وفي خِضَمّ حرب فيتنام، شارك في مسابقةٍ فنّية نظّمها «معهد توركواتو دي تيلا» في مقاطعة إنتري ريوس بالأرجنتين، بمجموعة من الأعمال التي تتناول موضوعات سياسية - دينية، من بينها تجهيزٌ بعنوان «الحضارة الغربية والمسيحية»، جَسّد فيه السيّدَ المسيح بالحجم الطبيعي مصلوباً ومعلّقاً على طائرة مقاتلة أميركية.

أثار العملُ غضباً في الأوساط السياسية والدينية في الأرجنتين. وكان من بين الذين انتقدوه بشدّة الكاردينال خورخي ماريو بيرغوليو (الذي سيُصبح في 2013 البابا فرانسيس؛ أوّل باباً للكنيسة الكاثوليكية في الفاتيكان من أميركا اللاتينية). أخبر القائمون على المعهد الرسّامَ والنحّات الأرجنتيني من أصل إيطالي بأنّ عليه إزالة تجهيزه إنْ كان يرغب في المشاركة في المسابقة، فاستجاب للطلب - على عكس ما سيتصرّف في وقتٍ لاحقٍ من تجربته الفنّية. مع ذلك، ظلّت بقيّةُ الأعمال المعروضة في المعهد تُثيرُ انتقاداتٍ شديدةً سيرفُّ عليها بعملٍ فنّي آخر يحمل عنوان «لوحةٌ مكتوبة».

بتلك الرسالة التي كتبها بخطّ يده، أذكى فيراري مُجدّداً السجال حول الحضارة الغربية والمسيحية، وأكّد تمسُّكه بموقفه النقدي من الجميع: الديكتاتورية الأرجنتينية، والإمبريالية الغربية... والكنيسة، وهو الموقف الذي سيُكسبه مكانته المركزية في فنّ الاحتجاج السياسي بالأرجنتين، وسيُكلّفه، أيضاً، ثمناً باهظاً.

> أعمالٌ تصوّر الشعب الذي يقاوم وتذكّر بجرائم الصهاينة

ففي عام 1976، غادر، مع أسرته، إلى ساو باولو في البرازيل هرباً من تهديدات النظام الديكتاتوري، تاركاً ابنَه، أريبل، الذي فضّل البقاء في موطنه، والذي سيصلُه خبرُ «العثور عليه ميّتاً» بعد سنتين قضاهما في المنفى الذي لن يعود منه إلّا عام 1991.

في منفاه البرازيلي، ابتكر فيراري، الذي أقام أوّل معارضه الفردية في ميلانو الإيطالية عام 1955، أشكالاً تعبيرية جديدة - التخطيطات والطباعة الحجرية والتصوير الفوتوغرافي وتاليف الكُتب أيضاً - سترفدُ تجربته الفنّية التي بدأها بأعمال الخرفية، قبل أنْ ينتقل إلى المنحوتات المشكّلة من الخشب أو الجصّ أو الإسمنت، والتجهيزات التي يُوظّف فيها الأسلاك والمواد البلاستيكية والسيراميك، وأعمال الكولاج التي تمزج بين الرسم والصورة وقصاصات الصحف، إلى جانب الكتابة اليدوية التي يبدو أنّها كانت طريقته في التواصُل مع (وتعليم) ابنته التي فقدت سمعَها في سنّ مبكرة بسبب إصابتها بالتهاب السحايا. ظلّت الكتابةُ الخطيةُ حاضرةً في أعماله إلى غاية رحيله، وكانت غيرَ مقروءةٍ في كثير من الأحيان؛ كما في عمله «رسالة إلى جنرال» (1963) الذي لخّص قناعته باستحالة التواصُل مع عسكريّ ديكتاتور.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

«فلسطين حرّة» لـ لويس فيليبي نومي

فعاليات

حتى 12 كانون الثاني/ يناير المقبل، يتواصل في «رواق عبلة عبابو» بالرباط معرض **المادّة بصيغة الجمع**، الذي يضم أعمالاً متعدّدة الوسائط لعشرة فنّانين مغاربة حول ثيمة واحدة؛ هي المادّة. من المشاركين: **كريم العلوي**، و**نور الدين امير**، و**محمد الرحيوي**، و**عطاف بنجلون**، و**محمد المريد** (اللوحة).

ضمن سلسلة عروض تستمرّ حتى الأوّل من الشهر المقبل، تُعرض في «مؤسّسة عبد المحسن القطّان» برام الله، عند السابعة من مساء الاثنين المقبل 29 تشرين الثاني/ نوفمبر الجاري، مسرحية **هوية غريب** من تأليف وإخراج **خليل البطران**، وإنتاج **مسرح عشتار** و**فرقة أثر**. يروي العمل قصّة شخص يبحث عن بطاقة هوية ليتمكّن من إيجاد بيت وإكمال دراسته الجامعية والزواج.

في بهو «المسرح الوطني الجزائري» بالجزائر العاصمة، يتواصل حتى يوم الجمعة المقبل معرضٌ جماعي بعنوان **اللقاء**. المعرض، الذي افتُتح الأربعاء الماضي، يجمع لوحات لتشكيليّين جزائريّين منتمين الى اجيال مختلفة؛ من بينهم: **زين الدين لحمري**، و**هاني بن ساسي**، و**شاربوني آني كولات**، و**خالد دهكوني**.

يُنظّم «المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية» في القاهرة، ابتداءً من الخميس 2 كانون الأوّل/ ديسمبر المقبل، دورة تدريبية للباحثين في التاريخ والآثار والعلوم الانسانية، موضوعها **علم المخطوطات والنشر النقدي للنصوص**. يُقدّم الدورة الباحثُ والمحقّق **ايمن فؤاد سيّد**، وتستمرّ خمسة اسابيع.